أثر الخطاب في دلالة النص في تفسير البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي ت745هـ

أ.م.د. ميمونة عوني سليم

م.م. نسرين قصي نعمان

كلية التربية للبنات/ جامعة تكريت

The impact of speech in the meaning of the text in the interpretation of the ocean surrounding Abi Hayyan Andalusia 745 AH

Ass. Prof. Dr. Maymona Aoni Selim

Ass. Lec. Nesreen Qusay Nuaman

College of Education for Girls\ University of Tikrit

dmeemo1@googlemail.com

Abstract:

Communication is a human communication communication activity between two or two interested parties who wish to speak to one another for the motive of one of them. The speaker begins to speak for a reason and for the purpose of exchanging information and ideas. This requires him to be able to formulate and formulate the speech. , And refers to a second party, the recipient or the addressee, in which he is required to be able to analyze the words given to him in a proper scientific manner in a particular context. The general aim of the communication is to communicate. The subject of speech or speech differs according to the objective. Scientifically, religiously or politically It requires the addresser to be aware of and aware of the circumstances and conditions surrounding both the recipient and the speech.

Keywords: impact, letter, indication, text, interpretation, ocean sea, Abi Hayyan Andalusian.

الملخص:

يعد التخاطب نشاطاً إنسانياً تواصلياً إبلاغياً، يكون بين شخصين أو طرفين فاهمين يرغبان في التكلم مع بعضهما، لدافع يدفع أحدهما، فيبدأ الكلام من جانب (المتكلِم) لسبب ولغرض تبادل المعلومات والأفكار، وهذا يتطلب منه أن يكون قادراً على تركيب وصياغة الخطاب صياغة علمية لغوية سليمة، فيوجه الكلام إلى طرف ثانٍ هو المتلقي أو (المخاطِب)، ويشترط فيه أن يكون قادراً على تحليل العبارة الملقاة عليه بصورة علمية صحيحة في سياق معين، والهدف العام من التخاطب هو التبليغ، ويختلف موضوع الكلام أو الخطاب حسب الهدف، فقد يكون الغرض لغوياً أو علمياً أو دينياً أو سياسياً، وهذا يتطلب من المخاطِب أن يكون على وعي وعلم بالظروف والأحوال المحيطة بكل من المتلقي والخطاب.

الكلمات المفتاحية: أثر، خطاب، دلالة، نص، تفسير، البحر المحيط، أبي حيان الأندلسي.

المقدمة:

يعد القرآن الكريم المصدر العذب الذي لازال الباحثون ينهلون منه المادة العلمية في مجال الأبحاث والدراسات، رغم كثرة الدراسات فيه وخاصة فيما يتعلق بالخطاب القرآني، فالأحكام الشرعية والفقهية الواردة فيه بهيئة نصوص خطابية، تكون مرسلة من الله تعالى إلى الرسول والأنبياء، والمؤمنين والمشركين على حسب فحوى وسبب الخطاب.

ويرد الخطاب القرآني بصورة عامة متنوعاً، بحسب المخاطبين وبحسب الغرض الذي نزل من أجله الخطاب، فيكون خطاباً للنبي _صلى الله عليه وسلم_، وخطاباً للمؤمنين، وخطاباً للأمة، وخطاباً للكافرين، وغير ذلك ممن يوجه إليه الخطاب القرآني.

تضمن هذا البحث الحديث عن أثر الخطاب في دلالة النصّ القرآني في تفسير البحر المحيط، مقتصراً على الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين.

وتم تقسيمه على مبحثين: المبحث الأول تضمن معنى الخطاب لغة واصطلاحاً، ومعنى الخطاب القرآني، وأنماط الخطاب القرآني بصورة عامة.

والمبحث الثاني: تضمن الكلام عن الخطاب الموجه للنبي والمؤمنين بحسب الطريقة أو الأسلوب الذي وجه فيه الخطاب وتم تقسيمه: إلى خطاب مباشر وخطاب غير مباشر.

أمَّا المصادر التي اعتمدت عليها في كتابة البحث فجاءت متنوعة بين كتب التفسير بدأً من تفسير البحر المحيط(لأبي حيان الأندلسي ت745هـ) باعتبار أنَّ الدراسة خصصت فيه، ثم تفسير مقاتل بن سليمان(ت150هـ)، وتفسير الطبري(لمحمد بن جرير الطبري ت310هـ)، والكشاف للزمخشري(ت538هـ)، والمحرر الوجيز لابن عطية(ت542هـ) وغير ذلك من التفاسير والمعجمات العربية، كمعجم العين للخليل بن أحمد(ت170هـ)، وتهذيب اللغة للأزهري(ت370هـ)، ومقاييس اللغة لابن فارس(ت395هـ) وبعض المصادر الخاصة بدراسة الخطاب منها لغة الخطاب السياسي للدكتور محمود عكاشة، واللسانيات والدلالة وغيرها.

المبحث الأول: (مفهوم الخطاب وأنماطه)

مفهوم الخطاب:

يعدّ الخطاب من المصطلحات الشائعّة في مجالات المعرفة المختلفة؛ لذلك حظي هذا المصطلح باهتمام العلماء قديماً وحديثاً من العرب والغربيين، واختلف مفهومه عند العرب عنه في نظر الغربيين؛ وذلك لتعدد المجالات والاختصاصات التي استعمل فيها هذا المصطلح، ولا يقتصر هذا الاهتمام على العلماء فحسب بل هو مصطلح كان أول ظهوره في القران الكريم ونبعت عناية العرب بهذا المصطلح من اهتمامهم بلغة القرآن الكريم، فهو يستعمل في المجالات الأدبية، وغير الأدبية.

وتختلف الخطابات في أنواعها: فمنها ما يكون خطاباً دينياً، ونقدياً، وبلاغياً، وعلمياً، ونفسياً، وسياسياً، وثقافياً، واجتماعياً وغيرها.

- **مفهوم الخطاب لغوياً واصطلاحياً:**

المتتبع للمسار التاريخي للفظ يجد أنه ليس مصطلحاً حديثا في الدراسات المعاصرة بل أن أقدم وجود له في التراث الإسلامي من خلال وجوده في القرآن الكريم، وعند علماء اللغة والنحو، وأُصول الفقه، لذلك عدَّ القرآن الكريم الموطن الأول الذي برز فيه هذا المصطلح فهو يعد أقدم وثيقة ظهر فيها، واستعملت هذه المفردة فيه في عدة سور بصيغ مختلفة منها بلفظ الفعل، ومنها بلفظ المصدر كقوله تعالى: ﴿**فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنِ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ**﴾[المؤمنون: 27]، وقوله تعالى: ﴿**إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ**﴾ [ص: 23]

لكن التحديد الدلالي لمفهوم الخطاب في المعاجم العربية لغوياً ورد يدل على دلالات ومعانٍ كثيرة تكاد جميعها تدل على معنى واحد وهو الكلام الصادر من مخاطِب والمتوجه إلى متلقٍ، من ذلك ما ورد في العين ((خطب: الخَطْبُ: سبب الأمر. وفلانٌ يخطبُ امرأة ويختطبها خِطبةً... والخطاب: مراجعة الكلام))[1].

وقال ابن فارس الخطاب هو: ((كل كلام بينك وبين آخر))[2].

([1]) العين222/4مادة خطب وينظر: جمهرة اللغة 291/1 مادة خطب، وتهذيب اللغة112/7، والمحكم والمحيط الاعظم122/5مادة خطب، ولسان العرب 360/1والصحاح تاجا للغة وصحاح العربية121.

([2]) مجمل اللغة 295.

وذكر في المقاييس أنَّ((الخاء والطاء والباء أصلان: أحدهما الكلام بين اثنين، يقال خاطبهُ يخاطبهُ خطاباً... والخطبُ: الأمرُ يقع، وإنَّما سميَّ بذلك لما يقع فيه من التخاطبِ والمراجعة))[1].وعرفه أبو البقاء في الكليات ((الكلام اللفظي أو الكلام النفسي الموجه نحو الغير للإفهام))[2].

وربط التهانوي بين المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي في تعريفه للخطاب بأنه ((توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى الكلام الموجه نحو الغير للإفهام. وقد يعبر عنه بما يقع به التخاطب))[3].

وجاء في معجم المصطلحات العربية بأنَّ الخطاب هو: ((الرسالة Letter نص مكتوب يُنقل من مُرسِل إلى مُرسَل إليه يتضمن عادةً أنباء لا تخص سواهما، ثم انتقل مفهوم الرسالة من مجرد كتابات شخصية إلى جنس أدبي قريب من المقال في الآداب الغربية – سواء كان نظماً أو نثراً – أو من المقامة في الأدب العربي))[4].

ويعرّف دومينيك مانغونو: الخطاب بقوله: أنَّ مصطلح الخطاب، من حيث معناه العام يحيل على نوع من التداول للغة أكثر مما يحيل على حقل بحثي محدد، واللغة في الخطاب لا تعد بنية اعتباطية بل نشاط لأفراد مندرجين في سياقات معينة، والخطاب بهذا المعنى لا يحتمل صيغة الجمع: يقال (الخطاب) و(مجال الخطاب)، وبما أنه يفترض تمفصل اللغة مع معايير غير لغوية، فإنَّ الخطاب لا يمكن أن يكون موضوع تناول لساني صرف[5].

ولفظ الخطاب في معناه اللغوي يدل على كل ملفوظ أكبر من الجملة منظوراً إليه من حيث قواعد التسلسل الجُملي، ومن وجهة نظر اللسانيات، الخطاب لا يمكن أن يكون سوى مرادف للملفوظ[6].

وقيل: هو مصطلح ألسني حديث يعني في الفرنسية Discourse، وفي الإنجليزية Discourse، ومعناه حديث، محاضرة، خطاب، خاطب، تكلم، تحادث[7].

والمتأمل لدلالة المفهوم في المعاجم العربية يجد أن معنى الخطاب لا يخرج عن الحدث المجرد عن الزمن أي حدث الخطاب، والدلالة على المسمى أي ما يخاطبه[8].

أمَّا عند علماء النحو[9] فظهر اهتمامهم بالخطاب من خلال إفرادهم له باباً في مؤلفاتهم سموه باب الخطاب أو باب المخاطبة، وكلامهم عن الكاف التي تلحق أسماء الإشارة للدلالة على الطرف (المخاطَب) فتختلف حركات هذه الكاف باختلاف أحوال المخاطبين من التذكير والتأنيث والإفراد والجمع كقوله تعالى: ﴿ **قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ**﴾[يوسف: 32]

فالكاف جاء حرف خطاب ليشير به إلى المخاطب البعيد، وهو نبي الله يوسف عليه السلام.

أما في الدراسات الحديثة: فقد حظي مصطلح الخطاب باهتمام كبير عند الغربيين، مما جعله يشغل مكاناً مهما في جميع البحوث والدراسات الأدبية واللغوية في العصر الحديث حيث ارتبط ظهور هذا المصطلح في الفكر الغربي بظهور الدراسات اللسانية الحديثة المتمثلة في محاضرات دي سوسير(محاضرات في اللسانيات العامة) لما فيها من معلومات أساسية ساهمت في توضيح مفهوم

(1) مقاييس اللغة 198/2.
(2) الكليات 419.
(3) كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم 749/1
(4) معجم المصطلحات العربية في اللغة و الادب 159
(5) ينظر: المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب 38.
(6) ينظر التحليل اللساني للخطاب الشعري 20-21.
(7) ينظر: قاموس الياس 191.
(8) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني 73.
(9) ينظر: المقتضب 275/3، والاصول في النحول ابن السراج128/2، والمفصل في صنعة الاعراب181.واللباب في علل البناء والاعراب141/2وشرح المفصل لابن يعيش364/2.

الخطاب؛ لكن تعدد توجهات نظر المحدثين في تحديد مفهوم هذا المصطلح وذلك لتعدد المدارس الفكرية واللسانية التي تناولته واختلفوا في أي الكتَّاب الغربيين الذين تنبهوا لهذا المصطلح في أول الأمر.

وعلى الرغم من قدم جذور هذه الكلمة في التراث العربي والإسلامي إلاَّ أن استخدامها في الدراسات اللغوية الأدبية المعاصرة لها أهمية بمعانيها الكبيرة فهي تدخل في ميدان "الكلمات الاصطلاحية التي هي أقرب إلى الترجمة، والتي تشير حقولها الدلالية إلى معانٍ وافدة، ليس من قبيل الانبثاق الذاتي في الثقافة العربية فما نقصده بالكلمة المصطلح "الخطاب" هو نوع من الترجمة أو التعريب discourse في الفرنسية أو diskurs في الألمانية"[1].

ويشتق مصطلح الخطاب من (Discours) من الأصل اللاتيني (Discursus) وفعلها هو (Discurure) والذي يعني (الجري هنا وهناك) وإن كلمة الخطاب تعبر عن الجدلDialectique، والعقل أو النظام (Logos) وهو ما نجده عند أفلاطون والأفلاطونية[2].

فأجمع كُلَّ الباحثين والمتحدثين في الخطاب وتحليل الخطاب على ريادة هاريس (Harris) في هذا المجال، فهو أول عالم لساني حاول توسيع موضوع البحث اللساني بجعله يتحدى الجملة إلى الخطاب من خلال بحثه المعنون (تحليل الخطاب)[3].

وذهب بعض الباحثين إلى أنَّ أولمن طرح مسألة الخطاب في الدراسات الألسنية هو بيسونس(Buyssens) سنة 1943 حيث رأى أنَّ الخطاب يمكن أن يكون نظرية ألسنية، أو ألسنية خطابية التي هي اليوم فرع اساسي في التداولية وإنَّ علماء العلامة يميز ويبين الكفاءة السردية للعلامة والكفاءة الخطابية كما هو عند غريماس (Greimas)، ولكن النقلة الألسنية الكبيرة لمسائل الخطاب كانت عند بنفست الذي حاول تجاوز الإطار الشكلي للألسنية البنيوية وذلك بطرحه لمسائل الوظيفة ودور الفاعل المتكلم في العملية المنطوقة، وخلص إلى القول إلى أنَّ الكلمة تشكل نقطة فصل في ميداني اللغة، وهما النظام الشكلي القائم على العلامة والوحدة والنظام التواصلي أو الخطابي، القائم بين الوحدة والخطاب وهما يشكلان نظام الدلالة في اللغة[4].

ويعرَّف هاريس1952(Harrisم) الخطاب بأنه: "ملفوظ طويل، أو متتالية من الجمل تكون مجموعة منغلقة يمكن من خلالها معاينة بنية سلسلة من العناصر، بواسطة المنهجية التوزيعية وبشكل يجعلنا نظل في مجال لساني محض"[5]، وقدَّم تحديده لمفهوم الخطاب من تعريف بلومفيلد للجملة فقد سعى إلى تحليل الخطاب بتقديم تصوره التوزيعي على الخطاب بنفس التصور والأدوات التي يحلل بها الجملة، حيث تصبح من خلاله كل العناصر أو متتاليات العناصر تعبيراً عن انتظام معين يكشف عن بنية الخطاب وهي لا تلتقي اعتباطاً، وانطلق بتحليل الخطاب ابتداءً من مسألتين الأولى: توسيع حدود الوصف اللساني إلى ما هو خارج الجملة، والثانية تتعلق بالعلاقات الموجودة بين اللغة والثقافة والمجتمع[6].

فالخطاب: هو الكلام الموجه من متكلم (مخاطِب) إلى مستمع (مخاطَب) الذي يفهم هذا الكلام ويسعى لتحليله، باستعمال اللغة لذلك فإنَّ اللغة تعدُّ هي الأداة والوسيلة التي يتشكل منها الخطاب.

أمَّا الخطاب القرآني: فهو خطاب الهي ذو لغة بليغة وأسلوبه من نمط خاص ونظام متميز وذو بيان وبلاغة وجارٍ في كلامه على سنن العرب ولا يستطيع لأي أحد أنْ يأتي بمثله، مختلفاً عن غيره من الخطابات، متميزاً بإسلوبه البديع وتراكيبه ومستوياته الصرفية، والنحوية والصوتية، والدلالية.

([1]) الاعجاز النفسي في القران الكريم 72.
([2]) ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو 89-90، والخطاب في التراث العربي: 14.
([3]) ينظر: تحليل الخطاب الروائي سعيد يقطين 17، وينظر: لغة الخطاب السياسي: 36، وتحليل الخطاب في النقد العربي القديم20، واللسانيات والدلالة منذر عياشي 15، الاسهامات النصية في التراث العربي: 32.
([4]) ينظر: مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو 90.
([5]) تحليل الخطاب الروائي 17.
([6]) ينظر: المصدرنفسه17.

فيعرفه العلماء بأنه: كلام أو خطاب رباني صادر من الله تعالى الذي خلق كل شيء وذلك مصداقاً لقوله تعالى: إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ [الأعراف: ٥٤]، وموجهاً بشكل خاص إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، وبشكل عام لسائر الناس كقوله تعالى: ﴿ **لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ**﴾ [الأنبياء: ١٠] لذلك كان خطاباً معجزاً منزهاً عن أي خطاب بشري شعراً كان أو نثراً، وميزه الله تعالى بقوله: ﴿ **لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾[الشورى: ١١][1].

وإنَّ حامل هذا الخطاب هو الرسول (صلى الله عليه وسلم) فهذا الخطاب مخترق حدود الزمان والمكان والبيئة؛ ومن ثم يحتاج فهم مضمونه إلى اعتبار متطلبات المستقبل وحاجاته، وذلك من خلال بنية اللغة التي يتلقى بها ذلك المضمون لاسيما إذا كان هذا الخطاب يتبع في تأليفه نظاماً محكماً فهو يجسد أداة توصيل مبينة في تبليغها وشاملة لكل ما تقوم به حياة المرسل إليه على أكمل وجه رآه المرسِل فيكون بذلك خطابا مستمراً ووافياً بحاجات الإنسان الذي هو مركز الوجود وغايته[2]، فالخطاب القرآني المنزل من الله تعالى وقد خصه الله تعالى بالحفظ من الزيادة واللبس مما يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿**إِنَّا نَحْنُ نزلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ**﴾[الحجر: ٩].

أقسام الخطاب و الخطاب القرآني:

يمكن تقسيم الخطاب بصورة عامة إلى أنماط وأقسام متعددة تبعا لمعايير أساسية في التقسيم منها: غرض الخطاب، ونوع المشاركة، وطريقة المشاركة فيه، ونوع قناة تمريره، ووجهه.

وتصنف الخطابات تبعاً للغرض التواصلي المستهدف إلى خطاب سردي وخطاب وصفي وخطاب احتجاجي وخطاب ترفيهي وخطاب تعليمي وغير ذلك.

ومن حيث نوع المشاركة يمكن أن يكون الخطاب حواراً ثنائياً أو حواراً جماعياً أو مجرد مونولوج (أي خطاب لا يوجهه المتكلم لغير نفسه)، ومن حيث طرق المشاركة في خطاب ما أمَّا أن تكون المشاركة مباشرة (بين متخاطبين متواجهين أثناء عملية التخاطب) وغير مباشرة (كأن يكون الخطاب مكتوباً) أو شبه المباشرة (عن طريق المهاتفة أو البث الإذاعي أو التلفزي)، ومن حيث نوع القناة تمريره، يمكن أن يكون الخطاب شفوي أو مكتوباً.

ومن حيث الوجه: فإنَّ الخطاب يمكن أنَّ يكون حسب رأي بنفنيست(1966) خطاباً موضوعياً خالياً من أي تدخل من لدن المتكلم ويكون مصدر الخطاب مجرد كائن من ورق على حد تعبير (بارت) (1970) أو خطاباً ذاتياً مصدره المتكلم بوصفه كائناً حياً يُضَمِّن الخطاب انفعالاته ووجهات نظره[3]

ويرى التداوليون أنَّ الخطاب يقسم على نوعين خطاب مباشر وخطاب غير مباشر ويعتبرون أنَّ إدخال كلمات القائل في صيغة الخطاب بشكل مباشر يعد اقصى درجة من الموضوعية بقدر ما يلتزم عموماً بالنقل الحرفي دون تحريف، وبعضهم يعتقد أنَّه يمكن أن يصل الخطاب الذي يستخدم هذه الطريقة إلى نسبة 100% من الموضوعية[4].

يراد بالخطاب المباشر في بعض الاحيان مجرد توصيف المتكلم المذكور بدون التعبير عن أي حكم قيمه صريح عنه أو عن كلماته منها عبارة: (أمكم تقول تعالوا يا أولاد حالاً) فالمتكلم جعل نفسه مجرد ناطق باسم الأم ومع ذلك استخدم صيغة القول أو الخطاب المباشر لنقل القول، يمكن أن يتم لإضفاء مسحة عاطفية للموقف مثل الاستعجال أو الغضب.

([1]) ينظر: الخطاب النفسي في القران الكريم 15، والتداولية في الخطاب القرآني 30.
([2]) ينظر: جمالية الخطاب في النص القرآني: 72.
([3]) ينظر: الوظيفية بين الكلية والنمطية217-218، الخطاب وخصائص اللغة العربية25، واسترتيجية الخطاب الحجاجي دراسة تداولية في الارسالية الاشهارية العربية 505.
([4]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص 91، و المصطلح السردي61.

أما الخطاب غير المباشر: هو الذي يتولد عند امتصاص خطاب الآخر وأدائه بطريقة غير حرفية ؛ مما يتطلب تحويل أزمنته الفعلية، وتعديل ضمائره واشاراته كي تتسق في اتجاهاتها واحالاتها الأمر الذي يجعله مختلفاً عن الخطاب المباشر حيث يقوم القائل بإعادة صياغة الكلام الذي ينقله متوخياً الدقة في نقله حيناً وايجازه واقتطاع بعض أجزائه حيناً آخر[1].

ويميز فان ديك بين نوعين من الخطاب وهو ما يطلق عليه بالخطاب التام والخطاب الناقص: والمقصود بالتام عنده هو أنَّ كل الوقائع المُشكلة لمقام معين توجد في الخطاب، على العكس من الوقائع التي تصف مقاماً ما غير قابلة للحصر فإنَّ الخطابات فيها ليست تامة ولا تحتاج إلى أن تكون كذلك، لذلك فالمعلومات الواردة في الخطاب تخضع لعملية انتقاء بحث لايوجد في الخطاب إلا المعلومات الضرورية، ويقرر أنَّ خطاب اللغة الطبيعية إذا قيس بخطاب اللغة الصورية يعد غير صريح أو ضمنياً، مما يدفع المخاطَب إلى استغلال آلة الاستدلال، في بغض الأحيان لفهم وتأويل الخطاب، فالخطاب التام هو ماأطلق عليه بالخطاب الصريح، والخطاب الناقص هو ما أطلق عليه بالخطاب الضمني، وتمام الخطاب ونقصانه ليس مظهراً لكل أنواع الخطاب بل التمام والنقصان، بل هو مرتبط بنوع الخطاب وبالهدف[2]. والباحث في أنماط الخطاب القرآني يرى أنه يمكن تقسيم الخطاب القرآني من وجه النظر التداولية إلى نمطين بحسب توجيه الخطاب للمتلقي فيكون خطاباً مباشراً وآخر غير مباشر.

ولكن هناك تباين كبير بين آراء العلماء في أقسام الخطاب القرآني، فمنهم من قسمه بالنظر الى الأدلة عند علماء الفقه والشريعة كالأدلة الشرعية، فوجدوها على ضربين منها خطاب، وغير خطاب وهو الأفعال، والقياس والاستنباط، والشرط في الاستدلال بأفعال النبي صلى الله عليه وسلم، أمَّا الأدلة التي هي الخطاب فتقسم: على خطاب الله، وخطاب رسوله _صلى الله عليه وسلم_ وخطاب الأمة، وقد يستدل على الحكم بالخطاب، وبالإمساك عن الخطاب وعن غيره من الأدلة، والشرط في الاستدلال بخطاب الله أن نعلم ما يفيده الخطاب بمجرده، وما يفيده مع قرينة، وأن الله تعالى لا يجرد خطابا يفيد في المواضعة شيئا ما إلا وقد علم أن فائدته على ما أفاده الخطاب، إما بمجرده وإما مع قرينة والشرط في الاستدلال بإمساكه عن أن يدلنا على الحكم، أن نعلم أنه لو كان الحكم حاصلا لدلنا على حصوله، والشرط في الاستدلال بخطاب النبي صلى الله عليه وسلم هو أن نعلم فائدة الخطاب ونعلم أن الله سبحانه لا يبعث من يخبر بالكذب ولا ينهي عن حسن ولا يأمر بقبيح، والشرط في الاستدلال بتركه أن يؤدي إلينا العبادة هو علمنا أنه مع حكمته لا يجوز أن يبعث من يعلم أنه يخفي عنا مصالحنا والشرط في الاستدلال بالإجماع هو أن نعلم أن الله عز وجل أو رسوله_صلى الله عليه وسلم_ قد شهد أنهم لا يجمعون على خطأ[3].

وذكر بعضهم أنَّ الخطاب نوعان تكليفي: وهو المتعلق بأفعال المكلفين بالاقتضاء أو التخيير، ووضعي: وهو الخطاب بأن هذا سبب ذلك أو شرطه كالدلوك سبب للصلاة والوضوء شرط لها، والخطاب المتعلق بفعل المكلف لا بالاقتضاء أو التخيير أو الوضع نحو قوله تعالى: ﴿**وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ**﴾ [الصافات: ٩٦] فإنه متعلق بفعل المكلف من حيث الإخبار بأنه مخلوق لله تعالى، وخطاب الله المتعلق بذاته العلية نحو قوله تعالى: ﴿**فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ**﴾ [محمد: ١٩]، وبفعله كقوله تعالى: ﴿**اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ**﴾ [الزمر: ٦٢]، وبالجمادات كقوله تعالى: ﴿**وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا**﴾[الكهف: ٤٧]، وبذوات المكلفين نحو: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ**﴾[الأعراف: 11].

ومذهب جمهور الأصوليين أن الأحكام التكليفية، وهي التي يخاطب بها المكلفون خمسة: أربعة تدخل في الطلب: الإيجاب والندب والتحريم والكراهة، والخامس: الإباحة[4].

([1]) ينظر: بلاغة الخطاب وعلم النص91-92، والمصطلح السردي61-62، والماركسية وفلسفة اللغة 169-180.
([2]) ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب 40.
([3]) المعتمد في أصول الفقه 2/343-344
([4]) ينظر: الكليات 420

ومنهم من ذكر أن الخطاب يقسم إلى: خطاب الله وخطاب الرسول وخطاب الامة[1].

ومنهم من قسَّم الخطاب بحسب الحكم الشرعي الصادر له، فيكون أمَّا خطاب دعوة وإرشاد يكون المغزى منه دعوة وإرشاد المسلمين إلى طريق الخير والإيمان كقوله تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ**﴾[النحل: ١٢٥]، وقوله تعالى: ﴿ **قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ** ﴾[آل عمران: ٣٢] فالمعنى هو دعوة وإرشاد المسلمين إلى طاعة الله والرسول.

أو خطاب لتشريعي ويقصد به تشريع الأحكام للمسلمين من ذلك قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[البقرة: ١٨٣]، والخطاب النفسي وهو الذي يترك أثراً نفسياً في نفوس المتلقين كالفرح والخوف، والحزن كقوله: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴾[عبس: ٣٨ – ٣٩]، أو الندم ﴿**وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ** ﴾[السجدة: ١٢] وغير ذلك من الآيات.

ويقسم الخطاب بحسب طريقة توجيهه أو الأسلوب إلى المتلقي، فيكون أمَّا خطاباً مباشراً أو غير مباشر، وهو ما اعتمدناه في بحثنا.

المبحث الثاني: الخطاب المباشر وغير المباشر:

أولاً: الخطاب المباشر: وهو أن يكون المتلقي (المخاطَب) مقصوداً بالحكم أو الخطاب الموجه إليه لفظاً ومعنى، من ذلك الخطاب الموجه للرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون:

- **الرسول: خاطب الله تعالى رسوله الكريم بقوله:**

﴿**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾ [الأنفال: ٤٣].

جاء هذا الخطاب من الله تعالى لنبيه محمد _صلى لله عليه وسلم_ عند وقعة بدر فأراه الله في منامه قلة عدد كفار قريش ليخبره بأمر النصر للمسلمين، لتقوية نفوسهم وحثهم على القتال.

فقال أبو حيان: ((الخطاب للرسول – صلى الله عليه وسلم– وتظاهرت الروايات: أنها رؤيا منام. رأى الرسول _صلى الله عليه وسلم_ فيها الكفار قليلا، فأخبر بها أصحابه، فقويت نفوسهم، وشجعت على أعدائهم، وقال النبي –صلى الله عليه وسلم_ لأصحابه حين انتبه: "أبشروا لقد نظرت إلى مصارع القوم "والمراد بالقلة هنا قلة القدرة واليأس، والنجدة، وأنهم مهزومون، مصروعون، ولا يحمل على قلة العدد، لأنه _صلى الله عليه وسلم_ رؤياه حق، وقد كان علم أنهم ما بين تسعمائة إلى ألف، فلا يمكن حمل ذلك على قلة العدد))[2].

فالخطاب موجه للنبي محمد (صلى الله عليه وسلم) والرؤيا هنا هي رؤيا بأمل تقوية نفوس المسلمين في القتال ولنيل النصر، و(رأى) في الآية هنا هي رأى الحلمية فالمنام يقصد به العين لأنها موضع النوم، فنصب إذ بمضمر تقديره (اذكر) ويقصد به أنَّ المخاطَب بذلك ذات –الرسول صلى الله عليه وسلم–.

قيل في دلالة الآية: لما سار الرسول_ صلى الله عليه وسلم– رأى في المنام أن المشركين قليل قبل أن يلتقوا، فأخبر بذلك أصحابه فقالوا: رؤيا النبي– صلى الله عليه وسلم– حق؛ وقلل الله المشركين في أعين الناس، لتصديق رؤيا النبي– صلى الله عليه وسلم– ولتثبيتهم على أمر الجهاد ثم قال: وَلَوْ أَراكَهُمْ كَثِيراً حين عاينتموهم لَفَشِلْتُمْ، يعني لجبنتم وتركتم الصفوَ لَتَنازَعْتُمْ ومعنى التنازع في الأمر الاختلاف الذي تكون معه مخاصمة ومجادلة ومجاذبة كل واحد إلى واحد إلى ناحية والمعنى: لاضطرب أمركم واختلفت كلمتكم وَلكِنَّ اللَّهَ أتمَّ أمر المسلمين على عدوهم فهزموهم ببدر، ثم قال (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ) وقلل المؤمنين في أعين المشركين

(1) ينظر: الخطاب الشرعي وطرق استثماره 31.
(2) البحر المحيط 497/4.

ليجترئ بعضهم على بعض فى القتال لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً في علمه كانَ مَفْعُولًا؛ ليقضي الله أمرا لابد كائنا ليعز الإسلام بالنصر ويذل أهل الشرك بالقتل والهزيمة وكل ذلك بحكمة من الله وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ، فمصير الخلائق إلى الله– عز وجل[1]، فالرؤية هنا رؤية بصرية رؤية يقظة لا منام وهذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه[2].

وقال الزجاج[3] إِذْ يُرِيكُهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلاً: رويت عن الحسن أن معناها في عينيك التي تنام بهما، وعلى هذا الرأي تكون الرؤية في اليقظة؛ لأنه ذكر أنه قال رسول اللَّه – صَلَّى اللَّهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ – قال: " تنام عيني ولا ينام قلبي "، وإنما وأراه إياهم قليلا في العين التي بها ينام، وهما عينا الوجه، وكثير من أصحابِ النحو يذهبون إلى هذا المَذْهَب، ومعناه عندهم: إذ يريكهم الله في موضع منامك أي بِعَيْنك ثم حذف الموضِعُ، وأقام المقام مكانه، وهذا مَذْهَبٌ حسن[4]، وأضعف بعضهم هذا الرأي وقال ولأن معنى هذا الرأي يتكرر في الآية التي بعدها لأن النبي(صلى الله عليه وسلم) مخاطب في الثانية أيضا، والأمر المفعول المذكور في الآيتين هو للقصة بأجمعها، وذهب بعض الناس إلى أنهما لمعنيين من معاني القصة والعموم أولى

ولكنه قد جاءَ في التفسير أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رآهم في النوم قَلِيلًا، أي أن الله ألقى عليه النوم قليلاً وأراه قلتهم في نومه وقصَّ الرؤيا على – أصحابه فقالوا: صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ يا رسول اللَّه، وإنما أراهم قليلا ليكون بذلك تشجيعا لهم على الثبات في الحرب وهذا المذهب أسوغ في العربية، لأنَّه قَد جاءَ: بعدها (وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ) فدَل بهذا أن هذا رؤْية الالتقاءِ، وأن تلك رؤْيةُ النوم، فيجوز على هذا المذهب الأول أن يكون الخطاب الأول للنبي – صلى الله عليه وسلم – وأن الخطاب الثاني لجميع من شاهدَ الحربَ وللنبي – صلى الله عليه وسلم – فيكون المخاطب بذلك الرسول لكن المراد غيره وهذا كثير في القران الكريم.

وتعدت (رأى) الحلمية في الآية إلى ثلاثة مفاعيل لدخول همزة التعدية عليها، فالكاف مفعول أول والضمير مفعول ثان وقليلا وكثيرا مفعول ثالث[5].

فـ(إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ) فإذ نصبه بإضمار فعل محذوف تقديره اذكر أو هو بدل ثان من يوم الفرقان المذكور في الآية (41)، أو متعلقاً بقوله: لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ؛ أي يعلم المصالح إذ يقللهم في عينك[6]، فدل هذا على أنَّ المخاطب بذلك شخص واحد وهو الرسول صلى الله عليه وسلم، ورؤياه هي رؤيا منام، وورود كلمة منامكَ، وأراكهم في الآية قرينة لفظية ليدل بها أيضاً على أن الرؤية منامية، وإفراد الكاف في منامكّ وفي أراكهم ليدل على أنَّ المخاطَب مفرد، وبهذا يؤدي إلى تناسق وتماسك الألفاظ الواردة في النص، وجاء الفعل المضارع "يريكهم" بمعنى الماضي لأن نزول الآية كان بعد الإراءة[7]، وقلة العدد في الرؤيا رمزا وكناية عن وهن أمر المشركين لا عن قلة عددهم، وجعله االله في رؤيا النوم دون الوحي، لأن صور الرائي المنامية تكون رموز المعان فلا تعد صورتها الظاهرية خلفا، بخلاف الوحي بالكلام، وهذه الرؤيا قد مضت بالنسبة لزمن نزول الآية، فالتعبير بالفعل المضارع لاستحضار حالة الرؤيا العجيبة.

وجاء لفظ القليل هنا قليلا لعدد بقرينة قوله: كثيرا أراه إياهم قليلي العدد، وجعل ذلك في المكاشفة النومية كناية عن الوهن والضعف. فإن لغة العقول والأرواح أوسع من لغة التخاطب، لأن طريق الاستفادة عندها عقلي مستنداً إلى محسوس، فهو واسطة بين

([1]) ينظر: تفسير مقاتل 217/2، وبحر العلوم 23/2، تفسير القران العزيز لابي زمنين 179/2.
([2]) ينظر: الهداية إلى بلوغ النهاية 4/ 2836.
([3]) ينظر: معاني القران واعرابه للزجاج 419/2، ومعاني القران للنحاس161/3، تأويلات أهل السنة227/5، النكت والعيون323/2، بحر العلوم23/2، الوسيط في تفسير القران المجيد463/2، تفسير البغوي 36/3
([4]) ينظر: المحرر الوجيز 535/2
([5]) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون615/5، واللباب في علوم الكتاب 531/9-532.
([6]) ينظر: الكشاف 213/2
([7]) ينظر: فتح البيان عن مقاصد القران 186/5.

الاستدلال العقلي المحض وبين الاستفادة اللغوية، والتعريف في الأمر للعهد وهو أمر القتال وما يقتضيه، ووضع الظاهر موضع المضمر في قوله: ولكن الله سلم دون أن يقول: ولكنه سلم، لقصد زيادة إسناد ذلك إلى الله، وأنه بعنايته، واهتماما بهذا الحادث[1].

جاء الخطاب في الآية للرسول – صلى الله عليه وسلم– بصورة مباشرة وهو خطاب خاص له، فيكون من باب الخطاب الخاص الذي أريد به الخصوص.

- **﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾**[التوبة: ٨٣].

لمَّا ذكر الله تعالى أحوال المنافقين الذين تخلفوا عن الجهاد والقتال في سبيل الله في غزوة تبوك ومدى شعورهم بالفرح عن قعودهم عن الجهاد، وتهديدهم بالعقاب الأليم أعقب الأمر بعد ذلك بالخطاب لرسول الله بقوله: فقال أبو حيان: " الخطاب للرسول، والمعنى: فإن رجعك الله من سفرك هذا وهو غزوة تبوك"[2]، فجاء نص الله تعالى تتوالى فيه الخطابات كلها تدل على أن المخاطب بذلك هو الرسول صلى الله عليه وسلم فخاطبها لله تعالى بقوله: رجعك، فاستأذنوك، فقل، كل هذه الألفاظ جاءت خطاباً له، فالكاف في رجعك واستأذنوك حرف خطاب أشارَ به إلى خطاب الرسول، وبعدها جاء لفظ الأمر (قل) وهو مغزى لطيف يفهمه القارئ ليشير بذلك إلى الخطاب الموجه للرسول وليدل على أنه هو المقصود من الخطاب قولاً ومعنى.

والفعل (رجع) يدل لغوياً على: على الرد أو العودة من ذلك ما ذكره الليث بقوله: رَجع الجَواب، ورجْع الرَّشْق فِي الرَّمي: مَا يُردُّ عليهِ، والمرجوعة، والمرجوع: جَواب الرِّسالة، قَالَ: وَيُقَال ليس لهذا البيع مرجوع، أَي لايُرجَع فيه، ورجَع إليَّ فلانٌ من مرجوعِه كَذَا، يَعنِي ردَّه الجواب، وَيكون لازما كَقَولِه: ﴿ **وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ**﴾ [الأعراف: ١٥٠].ومصدره لازما الرُّجوعُ، ومصدرهُ وَاقعا الرَّجْع. يُقَال رجعتُه رجعاً فرجع رُجُوعا، يَستوي فيه لفظ اللَّازم والواقع[3].

وقال أبو هلال العسكري: "الفرق بَين الرَّد والرجع أَنَّه يجوز أَن ترجعه من غير كارهة لَهُ قَالَ الله تَعَالَى (فَإِن رجعك الله إِلَى طَائِفَة مِنْهُم) وَلَا يجوز أَن ترده غلا إِذا كرهت حَاله وَلِهَذَا يُسمى البهرج ردا وَلَا يسمى رجعا هَذَا أَصله ثمَّ رُبمَا اسْتعْملت إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ مَوضِع الْأُخْرَى لقرب مَعْنَاهُمَا"[4].

ويختلف المفسرون في قوله (مع الخالفين) ما المراد بهم؟ فعن قتادة أن المراد بهم النساء وذكر الطبري: أن هذا مردود، لأن العرب لا تجمع النساء إذا لم يكن معهن رجال، بالياء والنون، ولا بالواو والنون، ولو كان معنيًّا بذلك النساء لقيل: "فاقعدوا مع الخوالف"، أو "مع الخالفات" لكن عند اجتماع الرجال والنساء في الخبر، فإن العرب تغلب الذكور على الإناث، ولذلك قيل: (فاقعدوا مع الخالفين)، وعن ابن عباس جاء أنَّ المراد بالخالفين هم الرجال المنافقين، ومذهب الطبري يحتمل أن يكون المراد بهم الفاسدين على أن يكون مأخوذاً من خَلَف الرجال عن أهله يخْلُف خُلُوفًا، إذا فسد، ومن قولهم: "هو خَلْف سَوْءٍ" ومنه قولهم: "خَلَف فم الصائم"، إذا تغيرت ريحه[5]، ومعنى قَوله: (فَإِن رجعك الله إِلَى طَائِفَة مِنْهُم) يعني: لو ردَّك الله إلى طَائِفَة منهُم (فاستئذنوك لِلْخُرُوجِ) ليخرجُوا معك فِي القتال، (فَقل لن تخْرجُوا معي أبدا وَلنْ تقاتلوا معي عدوا) فالعَدو هاهُنَا: أهل الكتاب؛ فَإِنَّهُ لم يكن بقِي بجزيرَة العَرَب مُشرك فِي ذَلك الوقت[6].

(1) التحريروالتنوير10/22-23-24
(2) البحر المحيط 82/5.
(3) ينظر: تهذيب اللغة 1/234-235، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير 220/1.
(4) الفروق اللغوية 114.
(5) ينظر: تفسير الطبري 14/404-405.
(6) ينظر: تفسير القرآن للسمعاني334/2

وإنما قال: "طائفة منهم" لأنه ليس كل من تخلف عن غزوة تبوك كان منافقا، فبعضهم قد تابعن النفاق، ومنهم من ندم على التخلف، فالمخلفون ليس كلهم منافقين؛ أي في الكلام تخصيص لطائفة من المخلفين وليس كل من تخلف ؛لان الذين سكنوا ما كانوا جميعهم منافقين[1].

ومَرَّة نكرة وضعت موضع المرات للتفضيل، وذُكِر اسم التفضيل المضاف إليها وهو دال على واحدة من المرات، وهو الكثير السائر في اللغة وعلى الألسنة هند أكبر النساء، وهي أكبرهنّ، ثم إنّ قولك: هي كبرى امرأة، لا تكاد تسمع ذلك، ولكن هي أكبر امرأة، وأول مرة وآخر مرة، فهذا وارد كثيراً[2].

وقال ابن عطية: "إن" مبينة أن النبي –صلى الله عليه وسلم–، لا يعلم بمستقبلات أمره من أجَلٍ وسواه، ويحتمل أن يموتوا هم قبل رجوعه، وأمر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، بأن يقول لهم: لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ، هو عقوبة لهم وإظهار لدناءة منزلتهم وسوء حالهم، وقوله: إلى طائِفَةٍ يقتضي عندي أن المراد رؤوسهم والمتبوعون، وعليها وقع التشديد بأنها لا تخرج ولا تقاتل عدوا، وكرر معنى قتال العدو لأنه عظم الجهاد وموضع بارقة السيوف التي تحتها الجنة، ولولا تخصيص الطائفة لكان الكلام "فإن رجعك الله إليهم"، ويشبه أن تكون هذه الطائفة قد ختم عليها بالموافاة على النفاق، وعينوا للنبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فكيف يترتب ألا يصلي على موتاهم إن لم يعينهم الله، وقوله: وَماتُوا وَهُمْ فاسِقُونَ ونص في موافاتهم[3].

وقوله(ولن تقاتلوا معي عدوّاً): هو إخبار بمعنى النهي للمبالغة وقوله تعالى: (إنكم رضيتم بالقعود أوّل مرّة) تعليل له وكان إسقاطهم من ديوان الغزاة عقوبة لهم على تخلفهم وأوّل مرة هي الخرجة إلى غزوة تبوك[4].

وجاءت الفاء في قوله (فَإِن رَجَعَكَ الله) وفي قوله: (فاقعدوا) للتفريع ففي رجعك الأمرِ الآتي على ما بيِّن من أمرهم والفعلُ من الرجْع المتعدّي دون الرجوع اللازم فإن ردّك الله تعالى، وأوثر استعمالا لمتعدي وإن كان استعمال اللازم كثيرا إشارة إلى أن ذلك السفر لما فيه من الخطر يحتاج الرجوع منه لتأييد إلهي ولذا أوثرت كلمة إن على إذا أي فإن ردك الله سبحانه إلى طائِفَة مِنْهُمْ أي إلى المنافقين من المتخلفين بناء على أن منهم من لم يكن منافقا، وفي فاقعدوا: لتفريع الأمرِ بالقعود بطريق العقوبةِ على ما صدرَ عنهُم من الرضا بالقعود أي إذ رضِيتم بالقعود أولَ مرة فاقعُدوا من بعدُ، وقوله: (لَّن تَخْرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تقاتلوا مَعِيَ عَدُوّا): عدواً من الأعداء وهو إخبارٌ في مَعْنى النهي للمبالغة[5].

وجعل الإرجاع إلى طائفة من المنافقين المخلّفين على وجه الإيجاز لأنّ المقصود الإرجاع إلى الحديث معهم في مثل القصة المتحدّث عنها بقرينة قوله: (فاستئذنوك للخروج) ولمّا كان المقصود بيان معاملتهم كطائفة، اختُصر الكلام، فقيل: (فإن رجعك الله إلى طائفة منهم)، وليس المراد الإرجاع الحقيقي كما جرت عليه عبارات أكثر المفسّرين وجعلوه الإرجاع من سفَر تبوك مع أنّ السورة كلّها نزلت بعد غزوة تبوك بل المراد المجازي، أي تكرّر الخوض معهم مرّة أخرى.

وما أمر النبي (صلى الله عليه وسلم) بأن يقوله لهم صالحاً لوجهين، وجمع بين النفي بـ (لن) وبين كلمة (أبداً) تأكيداً لمعنى (لن) لانتفاء خروجهم في المستقبل إلى الغزو مع المسلمين[6].

لقد وجه الله تعالى خطابه إلى النبي محمد _صلى الله عليه وسلم– بلفظ مباشر له باستعماله كاف الخطاب، وبعدها لفظ الأمر، الدال على المعنى الخاص به.

([1]) ينظر: تفسير البغوي81/4.
([2]) ينظر: الكشاف 283/2. غرائب القران ورغائب الفرقان 512/3.
([3]) ينظر: المحرر الوجيز66/3
([4]) ينظر: السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كل امر من االحكيم الخبير300/3.
([5]) ينظر: ارشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب المبين 89/4، روح المعاني 340/5.
([6]) ينظر: التحرير والتنوير 283/10.

- **المؤمنون:**

﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**﴾ [التوبة: ١١٩] أمر الله تعالى عباده المؤمنين بتقوى الله فخاطبهم بذلك بأسلوب النداء بقوله: يا أيها الذين آمنوا، فهو بنية أو موضوع الخطاب الأساسية التي اختلف المفسرون في تحديد توجيه الخطاب فيها.

فقال أبو حيان: "هو خطاب للمؤمنين، أمروا بكونهم مع أهل الصدق بعد ذكر قصة الثلاثة الذين نفعهم صدقهم وأزاحهم عن ريقة النفاق"[1]، فقد وجه الله تعالى الخطاب للمؤمنين باستعمال أسلوب من أساليب الكلام في اللغة العربية وهو (النداء)، لإيصال الرسالة للمؤمنين، وتنبيههم وحثهم على تقوى الله، ليبين بعد ذلك مقصداً من مقاصد الشريعة الإسلامية.

جاء الخطاب بصورة عامة للمؤمنين لكن تضمنت الآية قولان في المؤمنين المتوجه الخطاب إليهم.

فعن مقاتل بن حيان وبه قال علماء التفسير[2]وابن عباس[3] أن الخطاب لمن آمن أو أسلم من أهل الكتاب ويكون تأويلها يا أيها الذين آمنوا من اليهود بموسى , ومن النصارى بعيسى اتقوا الله في إيمانكم بمحمد (صلى الله عليه وسلم) فآمنوا به , وكونوا مع الصادقين يعني كونوا مع النبي – صلى الله عليه وسلم – وأصحابه في جهاد المشركين، الثاني: أنها في المسلمين: وتأويلها: يا أيها الذين آمنوا من المسلمين اتقوا الله وفي المراد بهذه التقوى وجهان: أحدهما: اتقوا الله من الكذب، قال ابن مسعود: إن الكذب لا يصلح في جدٍّ ولا هزل، والثاني: اتقوا الله في طاعة رسوله إذا أمركم بجهاد عدوّه، وقيل هو لمن تخلف من الطلقاء في غزوة تبوك[4].

وقيل: هذا الخطاب للمنافقين الذين كانوا يعتذرون بالكذب، ومعناه: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا في العلانية اتَّقُوا اللَّهَ[5].

أمَّا دلالة قوله: مع الصادقين فيكون: قرأها بعضهم قوله: (مع الصادقين)، بـ(من الصادقين)[6]، لكن اختلف أهل التأويل في المراد بـ(مَعَ الصَّادِقِينَ) وذكروا فيها أقوال:

منها أن يكون المراد بهم: كونوا مع النبي– صلّى الله عليه وسلّم– ومن اتّبعه أبي بكر وعمر وأخيار المهاجرين الذين صدقوا وثبتوا الله في الإسلام، في الشدة والرخاء وروى شعبة عن عمرو بن مرّة عن أبي عبيدة عن عبد الله قال: الكذب ليست فيه رخصة، اقرءوا إن شئتم يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا، اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ، هل ترون في الكذب رخصة لأحد؟[7].

ومع هذا الرأي تقتضي الصحبة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضي للمدح، وما معناه: إن اللفظ أعم من صدق الحديث، وهو بمعنى الصحبة في الدين والتمكن في الخير، وقيل: إنهم الثلاثة الذين خُلِّفوا، صدقوا النبيّ–صلى الله عليه وسلم– عن تأخُّرهم[8].

وقيل: إنَّهم الذين استوت ظواهرهُم وبواطنُهُمْ، أو أَنَّهُم الذين قال اللَّهُ فيهِم: ﴿**لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**﴾ إلى قَوْله تَعَالَى(الْمُتَّقُونَ) [البقرة: 177].

وقيل: إِنَّ الصَّادِقِينَ هم المسلمونَ، والمُخَاطبُونَ هم المُؤمنون من أَهل الكتاب، وقد يراد بهم الموفُونَ بما عاهدوا، وذلك لقولِه تعالى: ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ**﴾ [الأحزاب: 23][9].

([1]) البحر المحيط 113/5
([2]) ينظر: تفسير القران العظيم لابن ابي حاتم 1906/6 بحر العلوم 69/2 جامع البيان في تفسير القران 109/2-110.
([3]) ينظر: الكشاف 306/2
([4]) النكت والعيون 413/2.
([5]) ينظر: بحر العلوم 97/2.
([6]) قرأ بها ابنُ مسعود وابن عباس ورويت هذه القراءة عن النبي محمد صلى الله عليه وسلم، ويعنى بها من لازم الصِّدق، ومعنى الصدق هو صدق الحديث أي ممن يصدق ولا يكذب لا قولاً ولا فعلاً. ينظر: إعراب القران للنحاس137/2، ومعاني القران وإعرابه للزجاج 475/2، والكشاف 306/2.
([7]) أحكام القران للجصاص 205/3.
([8]) تفسير الطبري 559/14، المحرر الوجيز 95/3، زاد المسير في علم التفسير 308/2
([9]) ينظر: أحكام القران لابن العربي 598/2-599، وتفسير الرازي 166/16-167.

وورد هذا الخطاب بهذه الصيغة وفي هذا المقام مع تقديم الأمر بالتقوى فيه إشارة إلى أن الصدق المأمور به من مقتضيات الإيمان ومن دعائم التقوى ويفهم من هذا أن من كذبوا فترى في سبيله سبيل من كفر وطغى[1]، كما قال بذلك تعالى: ﴿**إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ**﴾ [النحل: ١٠٥].

وإنَّ الأمر بـ(كونوا مع الصادقين)أبلغ في التخلق بالصدق من نحو: اصدقوا[2].

فالخطاب صادر من الله تعالى بلفظ عام هو لفظ النداء لينبه ويأمر المؤمنين على أمر تقوى الله تعالى بالقول والفعل في الدنيا؛ لأنها منهج للصالحين المتقين.

في بداية الخطاب يوجه النداء لهم بلفظ الأمر وبعدها يستدرج بالإخبار أن يكونوا مع الصادقين فتضمن فحوى الخطاب فعليا الأول جاء بصيغة الماضي والثاني بصيغة الأمر وأسند إليهما ضمير الجماعة الواو ليدل بذلك أن المخاطب هو مجموعة من الذين آمنوا من المؤمنين. وبعد ذلك أخبر عن ما سيكون عليه حالهم في الآخرة بأنهم سيكونون مع الصادقين، ففي بدء الآية تحدثت عن الخطاب في أمور الدنيا وفي نهايتها ذكرهم الله عما سيكونوا عليه في الآخرة فهذا الإخبار يخص الآخرة.

- ﴿**وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾[البقرة: ١٨٨].

تضمنت الآية الكريمة خطاباً بلفظ الجمع الدال على النهي عن أكل الأموال بالظلم فذكر أبو حيان قوله: "وهذا الخطاب والنهي للمؤمنين، وإضافة الأموال إلى المخاطبين. والمعنى: ولا يأكل بعضكم مال بعض"[3].

وصيغة النهي هذه في (ولا تأكلوا) الموجه لخطاب المؤمنين جاءت تفيد تخصيص أمر التحريم لأكل أموال الناس، لكن تدل على أن هذا الأمر يسير على جميع الناس، فيكون بذلك خطاباً خاصاً لكن أراد به العموم أي عموم المؤمنين، ويشير الباطل لغوياً إلى أنَّه الشيء الذاهب، وهو نقيض الحق[4].

وقال ابن فارس: "الباءُ والطَّاءُ وَاللَّامُ أَصلٌ واحدٌ، وهو ذهابُ الشَّيء وقلَّة مكثه ولُبثه. يُقَال: بطَل الشَّيءُ يَبطُلُ بُطلًا وَبُطُولًا. وَسُمِّيَ الشَّيطَانُ الباطلَ لِأَنَّهُ لا حقيقَةَ لِأَفعاله، وَكُلُّ شَيءٍ منهُ فلا مَرجُوع لَهُ ولَا مُعَوَّل عليه"[5].

وقوله: (وتدلوا)[6] مجزوم على العطف على (ولا تأكلوا) لأنه دخل في حكم النهي أي ولا تدلوا بها إلى الحكام وذهب الأخفش إلى أنهم نصبوا على أنه جواب النهي ونصبه كان بإضمار (إن)[7].

وذكر الزجاج: (تأْكلوا) مجزوم بـ"لا"، لأن التي ينهي بها تلزم الأفعال دون الأَسماءِ وتأثيرها فيها بالجزم، لأن الرفع يدخلها، بوقوعها موضع الأسماءِ والنصب تدخله المضارعة الناصب فيها الناصب للأسماءِ، وليس فيها بعد هذين الحيزين إلا الجزم "وتُدْلُوا": أي تعملون على ما يوجبه ظاهر الحكم ويتركون ما قد علمتم أنه الحق، ويجوز أن يكون (موضع) " وتدلوا " جزماً ونصباً – فأما الجزم فعلى النهي، معطوفاً على ولا تأكلوا، ويجوز أن تكون نصباً على ما تنصب الواو، وهو الذي يسميه بعض النحويين الصرف، ونصبه بإضمار أن، المعنى لا تجمعوا بين الأكل بالباطل والإدلاءِ إلى الحكام[8].

([1]) ينظر: مناهل العرفان في علوم القران 258/1.
([2]) ينظر: التحرير والتنوير 54/11.
([3]) البحر المحيط 62/2، وذكر ابن عطية أنَّ الخطاب لجميع أمة محمد، ينظر: المحرر الوجيز260/1.
([4]) ينظر: العين 430/7مادة (بطل) ، وجمهرة اللغة 395/1(مادة بطل) .
([5]) مقاييس اللغة 258/1.
([6]) ومعنى تُدْلُوا فِي الأَصل، من أَدْلَيْتُ الدَّلْوَ، إِذا أرسلتَها تملأَها، وَمعنى أَدْلَى فلا نُبحجته إِذا أَرْسَلَها وأَتَى بهَا على صِحةٍ، ومَعنى قَوله: تُدلوا بها إِلَى الْحُكَّام، أَي تعملون على مَايُوجِبهُا لإدلاء بِالْحجَّة وتخُونُ ونفي الْأَمانة لتأكلوا فريقا من أَموال الناس بالإث مكَأَنهُ قَالَ: تَعمَلُون على مَايُوجِبُه ظاهر الْحُكمِ، وتتركون مَاقد علمتُم أنّه الحقُ، ينظر: تهذيب اللغة121/14مادة (دلا) .
([7]) ينظر: معاني القران للأخفش 172/1، والكشاف 260/1.
([8]) ينظر: معاني القران واعرابه للزجاج 257/1-258.

ورأى مقاتل: الباطل يعني به الظلم، وإنَّ الآية نزلت في امرئ القيس بن عابس الكندي وعبدان بن أشوع الحضرمِيّ إذ اختصما في أرض فكان امرؤ القيس المطلوب وعبدان الطالب فلم يَكُنْ لعبدان بينة وأراد امرؤ القيس أن يحلف، فقرأ النَّبِيّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**﴾ [آل عمران 77] يعني عرضا يسيرا من الدُّنيَا، فَلَمَّا سمعها امرؤ القيس كره أن يحلف وَلَم يخاصمه فِي أرضه وحكمه فِيهَا فأنزل اللَّه– عَزَّوَجَلّ– وَلا تَأْكُلُوا أَمْوالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْباطِلِ وَتُدْلُوا بِها إِلَى الْحُكَّامِ يَقُولُ: لايدلين أحدكم بخصومة فِي استحلال ما لأَخِيهِ، وَهُوَ يعلم أَنَّهُ مبطل، (لِتَأْكُلُوا فَرِيقاً يعني طائفة مِنْ أَمْوالِ النَّاسِ بِالإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)، أنكم تدعون الباطل فَقَالَ النَّبِيّ– صلى اللَّه عَلَيْه وسلم–: إِنَّمَا أَنَا بشر مثلكم، فلعل بعضكم أَعلَم بحجته، فأقضى لَهُ وهُو مبطل، ثمّ قال– عَلَيْه السَّلام–: أيما رَجُل قضيت لَهُ بمال امرئ مُسْلِم. فَإِنَّمَا هِيَ قطعة من نار جهنم أقطعها فلا تأكلوها[1].

وقال بعضهم: "وهذا خَاصٌّ قضى على العَامِّ، فيقالُ له هذا مالا يعترِضُ على موضع الخلَاف لأَنَّا إنَّما قُلنَا نَقضي بِالعامِّ على الخاصِّ إذا وردَ بعدَ استِقرار حُكم الخَاصِّ وأَمَّا إذا لَم نَعلَم تَاريخهُما فإنَّا قد نبني العامَّ على الخاصِّ إذا قَامَت (دلالتُهُ)"[2].

ويرى الماوردي أنَّ "ولا تأكلوا" فيها تأويلان: أحدهما: بالغصب والظلم، والثاني: بالقمار والملاهي، وفي هذا المال قولان: أحدهما: أنه الودائع ومالا تقوم به بينة من سائر الأموال التي إذا جحدها , حكم بجحوده فيها. والثاني: أنها أموال اليتامى التي هو مؤتمن عليها، وفي "لِتَأْكُلُواْ فَرِيقاً مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ" يحتمل وجهين: أحدهما: لتأكلوا بعض أموال الناس بالإثم , فعبر عن البعض بالفريق. والثاني: على التقديم والتأخير، وتقديره: لتأكلوا أموال فريق من الناس بالإثم، وفي (أكله) ثلاثة أوجه: أحدها: بالجحود. والثاني: بشهادة الزور. والثالث: برشوة الحكام. {وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} يحتمل وجهين: أحدهما: وأنتم تعلمون أنها للناس. والثاني: وأنتم تعلمون أنها إثم[3].

وقد يكون قوله: "«لاَ تَأْكُلُوا» ليس المراد منه الأكل خاصَّة؛ لأنَّ غير الأكل من التصرّفات؛ كالأكل في هذا الباب، لكنَّه لمَّا كان المقصود الأعظم من المال، إنَّما هو الأكل، وصار العرف في من أنفق ماله، أن يقال كأكله؛ فلهذا عبَّر عنه بالأكل"[4].

فالذي يظهر من دلالة الآية أنَّ الخطاب جاء خاص للمؤمنين لكن أمر النهي عمَّ جميع الناس فهو يتضمن منع أخذ أموال الناس بالظلم لكن عبر عنه بالأكل كناية عن ذلك.

ثانياً: الخطاب غير المباشر: هو أن يكون المخاطَب متلقياً (الخطاب)مقصوداً بالحكم قولاً لا مضموناً، وهنا الخطاب يكون موجهاً للرسول (صلى الله عليه وسلم) ويراد به العموم وليس الرسول فحسب.

- **النبي محمد صلى الله عليه وسلم:**

﴿**سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**﴾[البقرة: ٢١١].

يخاطب الله تعالى النبي محمد صلى الله عليه وسلم بلفظ الأمر الموجه له خطاباً صريحاً لكن يراد منه العموم وليس فقط الرسول.

ذهب أبو حيان إلى أنَّ: "الخطاب في اللفظ له– صلى الله عليه وسلم–، والمراد: أُمّته، أو إعلام أهل الكتاب أن هذا القول من عند الله لأن النبي –صلى الله عليه وسلم– وقومه لم يكونوا يعرفون شيئا من قصص بني إسرائيل، ولا ما كان فيهم من الآيات قبل أن أنزل الله ذلك في كتابه: بنى إسرائيل من كان بحضرته منهم–صلى الله عليه وسلم– أو من آمن به منهم، أو علماؤهم، أو أنبياؤهم"[5].

([1]) ينظر: تفسير مقاتل بن سليمان 165/1. واسباب نزول القران للواحدي 53، بحر العلوم 152/1.
([2]) الفصول في الأصول 391/1.
([3]) ينظر: النكت والعيون 248/1-249، والوسيط في تفسير القران المجيد 289/1.
([4]) اللباب في علوم الكتاب 323/3.
([5]) البحر المحيط 135/2.

فالخطاب جاء بلفظ الأمر (سل) موجها للرسول صلى الله عليه وسلم، لكن معنى الخطاب أُريد به الأمة أو يراد به إخبار أو إعلام أهل الكتاب أن قوله تعالى من عند الله لا من عند رسوله، فجاء خطاب الله تعالى غير مباشر، خصّه باللفظ لكن خالف المعنى، فكان خطاباً ضمنياً ضمَّن معنى الخطاب أن يكون للأمة، فهو خاصاً ولكن أراد الله به تعالى جميع الأمة.

ورأى الزجاج ووافقه في رأيه عدد من العلماء أنَّ المقصود من الخطاب النبي – صلى الله عليه وسلم – والمعنى المراد من الخطاب هو ولسائر المؤمنين وغيرهم، ومعنى الآية سل هؤلاء الحاضرين أنَّا لما آتيناهم كثير من الآيات البينات وعلموا صحة أمر الرسول _صلى الله عليه وسلم– فأنكروها وجحدوا ما علموا، وهم عالمون بحقيقته، فوجب عليهم بسبب ذلك العذاب، وهذا تنبيه لهم على أنّهم بسبب زللهم عن آيات الله وقعوا في العذاب[1].

وذهب الطبري إلى أنَّ معنى الآية: سل يا محمد بني إسرائيل الذين لا ينتظرون بالإنابة إلى طاعتي، والتوبة إليّ بالإقرار بنبوتك وتصديقك فيما جئتهم به من عندي إلا إن آتيهم في ظلل من الغمام وملائكتي، فأفصلُ القضاء بينك وبين من آمن بك وصدَّقك بما أنزلت إليك من كتبي، وفرضت عليك وعليهم من شرائع ديني، وبينهم كم جئتهم به من قبلك من آية وعلامة، على ما فرضتُ عليهم من فرائض، فأمرتهم به من طاعتي، وتابعتُ عليهم من حججي على أيدي أنبيائي ورسلي من قبلك، مؤيِّدةً لهم على صدقهم، بيِّنةً أنها من عندي، واضحةً أنها من أدلتي على صدق نُذُري ورُسلي في ما افترضت عليهم من تصديقهم وتصديقك، فكفروا حُجَجي، وكذَّبوا رسلي، وغيَّروا نعمي قِبَلهم، وبدَّلوا عهدي ووصيتي إليهم[2].

فالسؤال هنا ليس على وجه الاستخبار، ولكنه على وجه التوبيخ. وفي المراد بسؤاله بني إسرائيل، ثلاثة أقاويل: أحدها: أنبياؤهم. والثاني: علماؤهم. والثالث: جميعهم. والآيات البينات: فَلْقُ البحر، والظلل من الغمام , وغير ذلك[3]، وفائدته ليقرر عليهم بالسؤال الحجة، لا ليقرّر للرسول صلّى الله عليه وسلّم بسؤالهم ما أشكل عليهم من واضح المحبة[4]، ومعناه هنا تبكيت للمسؤول عنه وتقريع له[5].

وذكر الفراء: أنَّ أهل الحجاز يقولون: "سل" بغير همز فِي الأمر وإنما ترك همزها خاصة لأنها كثيرة الدور في الكلام فلذلك ترك همزه، كما قَالُوا: كل، وخذ، فلم يهمزوا في الأمر، وهمزوه فِي النهي وما سواه، وقد تهمزه العرب، فأما في القرآن فقد جاء بترك الهمز، وكان حمزة الزيات يهمز الأمر إذا كانت فِيهِ الفاء أو الواو وبعض تميم يقولون: "اسأل" بالهمز، وبعضهم يقول: "إِسَل" بالألف وطرح الهمز، والأولى أغربهنَّ، وبها جاء الكتاب، وفي المراد بالسؤال قولان: أحدهما: أنه التقرير والإذكار بالنعم. والثاني: التوبيخ على ترك الشكر. والحجة لمن ترك الهمز أنه لما اتفقت القراء والخط على حذف الألف من قوله: سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وكان أصله: (أسأل) في الأمر فنقلوا فتحة الهمزة إلى السين فغنوا عن ألف الوصل لحركتها، وسقطت الهمزة المنقولة الحركة لسكونها بالتليين، وسكون لام الفعل، فلما تقدمت الواو بقي الكلام على ما كان عليه قبل دخولها[6].

وفيها لغة ثالثة، وهي اسل، حكاها الأخفش، ووجهها أنه ألقى حركة الهمزة على السين وحذفها، ولم يعتد بالحركة لكونها عارضة ; فلذلك جاء بهمزة الوصل[7].

وتختلف آراء المفسرين في أعراب (كم) ومعناها ومدى أثر معناه في معنى الآية القرآنية.

([1]) ينظر: معاني القران واعرابه للزجاج 281/1.ينظر: الكشاف 281/1، والمحرر الوجيز 284/1. زاد المسير في علم التفسير 175-176، غرائب القرآن ورغائب الفرقان583

([2]) ينظر: تفسيرالطبري4/270-271.

([3]) ينظر: النكت والعيون 269/1.

([4]) ينظر: لطائف الاشارات 172.

([5]) ينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد314/1.

([6]) ينظر: معاني القران للفراء124-125، الحجة في القراءات السبع123، وجامع البيان في القراءات السبع 1010/3والمحرر الوجيز 284/1، زاد المسير في علم التفسير 175-176، أنوار التنزيل وأسرار التأويل 134/1، مدارك التنزيل وحقائق التأويل 176/1. روح المعاني 494/1.

([7]) ينظر: التبيان في اعراب القران 169/1-170.

فيرى النيسابوري أنَّ "كم" تحتمل الاستفهامية والخبرية، ومِنْ آيَةٍ مميزها، وقد فصل بين المميز وبينها بالفعل. فإن كانت استفهامية فالتقدير: سلهم عن عدد إيتائنا الآيات إياهم حتى يخبروك عن كميتها. وإن كانت خبرية فالمعنى: سلهم عن أنّا كثيرا من الآيات آتيناهم، والآيات الواضحات إما معجزات موسى – عليه السلام– كفرق البحر وتظليل الغمام وتكليم الله إياه والعصا واليد ونحوها[1]، وأجاز الزمخشري أن تكون كم خبرية[2].

وذهب ابن عطية إلى أن "كم" في موضع نصب إما بفعل مضمر بعدها لأن لها صدر الكلام تقديره كم آتينا آتيناهم وإما بـ"آتيناهم" ويجوز أن تكون في موضع رفع بالابتداء والخبر في "آتيناهم" ويصير فيه عائد على "كم" تقديره كم آتيناهم وهو المراد بالآية كم جاءهم في أمر محمد– صلى الله عليه وسلم– من آية معرفة به دالة عليه و"نعمة الله" لفظ عام لجميع أنعامه ولكن يقوي من حال النبي معهم أن المشار إليه هنا محمد– صلى الله عليه وسلم– فالمعنى ومن يبدل من بني إسرائيل صفة نعمة الله ثم جاء اللفظ منسحبا على كل مبدل نعمة لله تعالى[3]، ومذهب أبي حيان أنَّ كم تكون استفهامية ومعناها التقرير لا حقيقة الاستفهام وتكون في محل نصب على أنها مفعول ثانٍ لآتيناهم[4].

ورأى أنه لا يجوز جعلها خبرية لأن جعلها خبرية هو اقتطاع للجملة التي هي فيها من جملة السؤال، فيكون المعنى: سل بني اسرائيل، وما ذكر المسؤول عنه، ثم قال: كثيرا من الآيات آتيناهم، فيصير هذا الكلام مفلتاً مما قبله، لأنه جملة: كم آتيناهم، صار خبراً صرفا لا يتعلق به: سل، ومعنى الكلام، ومصب السؤال على هذه الجملة، فلا تكون كم إلا في الإستفهامية، وفي تقرير الخبرية يحتاج إلى تقدير حذف، وهو المفعول الثاني: لسل، ويكون المعنى: سل بني اسرائيل عن الآيات التي آتيناهم، ثم أخبر تعالى أن كثيرا من الآيات آتيناهم.

(من آية) تمييز لـ: كم، ويجوز دخول: من على تمييز الاستفهامية والخبرية، سواء وليها أم فصل بينهما[5].

فالخطاب صادر من الله تعالى أمراً لنبيه أن يسأل بني إسرائيل أو توجيه السؤال لمن شاء من الأمة وسؤاله لهم تبكيتاً لهم وتأنيباً ليقيم عليهم حجة ودليل، وليس المراد: السؤال من عدد الآيات، وهو الذي لا تخفى عليه خافية، إنما الغرض: بيان أن ما أوتي إليهم من الآيات البينات كثير العدد، أي وهم – مع ذلك – يكابرون عنادًا، وإنَّ كثيراً من الآيات كانت معلومة بإعلام عند الله.

- **﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾**[البقرة: ٢٧٣].

يصف الله تعالى الإنسان الفقير والرضا والقناعة وعدم السؤال والطلب من الناس، ثم وجه خطابه للرسول– صلى الله عليه وسلم– بقوله: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ).

يذكر أبو حيان فيها أن: "الخطاب يحتمل أن يكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم، والمعنى: أنك تعرف أعيانهم بالسيما التي تدل عليهم، ويحتمل أن يكون المعنى: تعرف فقرهم بالسيما التي تدل على الفقر من: رثاثة الأطمار، وشحوب الألوان لأجل الفقر"[6]، فجاء بالمضمر(أنت) للمخاطب المفرد في (تعرفهم)؛ ليدل به على أنَّ من توجه له الخطاب هو الرسول صلى الله عليه وسلم، وفي ضمير الجمع (هم) الذي يرجع للفقراء، فأفرد الضمير مع المخاطب المفرد، وجاء به بلفظ جمع من الجمع ليحقق تناسقاً في النص القرآني.

([1]) ينظر: غرائب القرآن ورغائب الفرقان 583/1.
([2]) ينظر: الكشاف 281/1.
([3]) ينظر: المحرر الوجيز284/1.
([4]) ينظر: البحر المحيط 135/2-136.
([5]) ينظر: المصدر نفسه: 136/2.
([6]) البحر المحيط 342/2.

ويرى المفسرون أن الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم أو يراد به لكل من يصلح للمخاطبة، ومن له حظ من الخطاب مبالغة في بيان فقرهم[1]، ورأى ابن عرفة: أنَّ ((الخطاب له ولغيره))[2]، ويقول ابن عاشور بأن: "الخطاب لغير معين ليعم كل مخاطب، وليس للرسول لأنه أعلم بحالهم. والمخاطب بتعرفهم هو الذي تصدى لتطلع أحوال الفقراء"[3].

وتشير السيما معجمياً على أنها العلامة: من ذلك قول ابن سيده: "السّيما والسِّمياء والسِّمَة والسُّومَة: الْعَلامَة"[4]، و"ياؤها فِي الأَصل واو، وهي العلامَة الَّتِي يُعرف بها الخيرُ والشرّ...وَفِيه لغةٌ أُخرى: السِّيماء بِالْمدِّ... قَالَ أَبُو بكر: قَوْلهم عَلَيْهِ سِيمَا حسَنة؛ مَعْنَاهُ عَلامَة، وَهِي مَأْخُوذَة من وَسِمت أَسِم. والأصلُ فِي سِيما وَسْمَى، فحُوّلت الْوَاو من مَوضِع الْفَاء إِلَى مَوضِع الْعين...فَصَارَ سوْمَى، وجُعلت الواوُ يَاءً لسكونها وانكسار مَا قبلهَا"[5]، و"السومَةُ، بالضم: العَلامة تُجعَل على الشاة"[6].

فـ"السينُ والواوُ والميمُ أَصلٌ يدُلُّ على طلب الشَّيء. يُقالُ سُمْتُ الشَّيءَ، أَسومُهُ سَومًا. ومنهُ السَّومُ في الشراء والبيعِ" [7]، ورأى المفسرون أنَّ معناها الوارد في الآية يدل على دلالات:

فيذهب مجاهد إلى أنَّها تعني: التخشُّع أي الخشوع[8]، ورأى مقاتل بن سليمان أنَّ معناها في النص هو: " الفقر عليهم لتركهم المسألة"[9].

وذكر الزجاج: أنَّ في (أُحْصِرُوا) قولين الأول: أحْصَرهم فرضُ الجهاد فَمَنَعَهُم من التصرفِ، والثاني: أحصرهم عَدُوهُم لأنه شَغَلَهُمْ بِجِهادِهِ، ومعنى (أُحْصِرُوا) صاروا إلى أن حصروا أنفسهم للجهاد، كما تقول رَابَط في سبيل اللَّه، والإلحاف الإلحاح وهو اللزوم وان لا يفارق الا بشيء يعطاه، ومعنى "ألحَفَ" أي اشتمل بالمسْألَة، وهو مستغن عنها، واللِّحَافُ من هذا، اشتقاقه لأنه يشْمَل الإنْسَان في التغطية، والمَعْنَى أنه ليس منهم سؤَال فيكون منهم إلحافاً، أو يكون انهم إن سألوا سألوا بتلطف ولم يلحوا، وقيل هو نفي للسؤال والإلحاف جميعا[10]، وقال الطبري أن معنى الآية: تعرفهم يا محمد بسيماهم، يعني بعلامتهم وآثارهم[11]، ورأى أنَّ هذا هو الصواب لأنَّ "الله عز وجل أخبر نبيَّه صلى الله عليه وسلم أنه يعرفهم بعلاماتهم وآثار الحاجة فيهم. وإنما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يدرك تلك العلامات والآثار منهم عند المشاهدة بالعِيان، فيعرفُهم وأصحابه بها، كما يُدرك المريضُ في علم أنه مريض بالمعاينة"[12]، وقيل عن بسيماهم: بصفرة الوجوه من قيام الليل وصوم النهار[13]، وقد يكون معناها: "طيب قلوبهم وحسن حالهم وبشاشة وجوههم ونور أسرارهم وجولان أرواحهم فيملكون ربهم"[14].

أو: "استبشار قلوبهم عند انكسار نفوسهم، وصياح أسرارهم إلى العرش (نشاطا عنه) عند ذبول ظاهرهم عن الانتعاش. ويقال تكسر الظاهر عند تكسر الباطن وبالعكس"[15].

ورأى بعضهم وحكاه مكي أنَّ معناه يأثر السجود، وأيده ابن عطية بقوله: وهذا حسن لأنهم كانوا متفرغين متوكلين لإشغالهم في الأغلب إلا الصلاة، فكان أثر السجود عليهم أبدا[1]، وقد يراد بها: الضعف ورثاثة الحال[2].

([1]) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: 161/1، فتح القدير336/1.روح المعاني 46/2.
([2]) تفسير ابن عرفة 760/2.
([3]) التحرير والتنوير 75/3.
([4]) المخصص 99/4.
([5]) تهذيب اللغة 76/13، وينظر: لسان العرب 312/12.
([6]) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية 1955/5. وينظر: مجمل اللغة 479/1.
([7]) مقاييس اللغة 118/3-119.
([8]) ينظر: تفسير مجاهد 245/1.
([9]) تفسيرمقاتل بن سليمان 225/1.
([10]) ينظر: معاني القران واعرابه للزجاج 356/1- 357، والكشاف 346/1-345.
([11]) ينظر: تفسير الطبري 594/5.
([12]) المصدر نفسه: 597/5، وينظر: الوسيط في تفسير القرآن المجيد 389/1.
([13]) بحر العلوم 206/1.
([14]) حقائق التفسير 83/1.
([15]) لطائف الاشارات 210/1.

ومنهم من رأى أنَّ معنى الآية: "تدُلُّ بمنطُوقِها على الثَّناءِ على الفقِير الصَّابر المُتَعَفِّفِ عن مَسأَلة النَّاس، وتدُلُّ بمفهُومِهَا على ذَمِّ سُؤَال النَّاس"[3].

وهذا الوصف ينطبق على جماعة من المهاجرين الذين تركوا وراءهم أموالهم وأهليهم؛ وأقاموا في المدينة ووقفوا أنفسهم على الجهاد في سبيل الله، فهذا النص عام ينطبق على سواهم في جميع الأزمان، وينطبق على الكرام المعوزين، الذين تكتنفهم ظروف تمنعهم من الكسب قهراً، وتمسك بهم كرامتهم أن يسألوا العون، أنهم يتجملون كي لا تظهر حاجتهم، وهذا الحس المرهف والبصيرة المفتوحة يدرك ما وراء التجمل، والمشاعر النفسية تظهر على سيماهم[4]، والقرآن الكريم يؤثر رفعة الأسلوب وأنه يفضل أحيانا كلمة أدبية، على أخرى شائعة عامية، فتراه يستخدم "إلحافاً" في الآية مكان "إلحاحا" وربما كان لتكرير الحاء ينفي الكلمة أثراً في الإعراض عنها، وليس ذلك بعجيب على كتاب نزل ليتحدى أبلغ البلغاء، مستخدما أجمل وأرقى ما يعرفونه من الألفاظ[5]، وهذا هو الأسلوب البليغ القرآني الذي ينتقي أفضل المفردات ليبين بلاغة القرآن وما يؤثر ذلك في نفوس متلقيه وذلك في أبلغ صورة وأعذب الأصوات والألفاظ.

فالخطاب صادر من الله تعالى عن طريق الوحي جبريل عليه السلام متوجهاً للرسول صلى الله عليه وسلم فهو خطاب غير مباشر، والضمير المستتر(أنت) في تعرفهم يعود على الرسول صلى الله عليه وسلم والمعنى تعرفهم أنت يا رسول الله، والضمير في سيماهم يرجع للفقراء، والسيما هي العلامة أو الإشارة التي تظهر في وجه الانسان أو الشخص بصورة عامة فتدل على سوء الحال أو حسنه وهي لا تتحدد بهيئة معينة أو شخص معين بل تختلف هذه العلامة باختلاف الشخص والحالة التي هو بها، والاولى أن تكون تلك العلامة المقصودة في الآية هي التي تظهر على وجه الإنسان من أثر كثرة سجوده فتدل على كثرة زهده في الدين.

الخاتمة:

- مصطلح الخطاب ترجع أصوله وجذوره إلى القرآن الكريم فهو المصدر الأول والأساس الذي ورد فيه هذا المصطلح، وأصبح فيما بعد مصدراً للدراسات اللسانية الحديثة.
- الأحكام الشريعة ذات أثر مهم في تحديد دلالة الخطاب، من ذلك خطاب الدعوة، وخطاب الإرشاد، وخطاب التكليف.
- الخطاب القرآني يرد بصورة عامة يدل على أنه منزل من عند الله تعالى، منها الخطابات الدالة على الأمر، للنبي، فإنها أكبر دليل على أنّه من عند الله.
- تنوع أساليب وطرق الخطاب القرآني مما جعله يكون بين الأمر والنهي والنداء
بحسب حال المخاطَب.
- جاء الخطاب بلفظ الأمر في النصوص الواردة بالبحث، وخاصة بلفظ قل ليدل على أنَّ المخاطب بذلك الرسول _ صلى الله عليه وسلم– فقط.
- السياق القرآني بما في ذلك سبب نزول الآية له دور بارز في تحديد توجيه الخطاب.

([1]) ينظر: المحرر الوجيز 1/ 369. الجامع لاحكام القران 342/3.
([2]) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل 161/1، وفتح القدير336/1، ومعالم التنزيل في تفسير القران 338/1، والكشاف 345/1، والجامع في أحكام القران 341/3-342.
([3]) أضواء البيان في إيضاح القران بالقران 309/4.
([4]) في ظلال القران 315/1.
([5]) ينظر: من بلاغة القرآن 75.

المصادر والمراجع

- القران الكريم:
- أحكام القرآن: الأشبيلي: القاضي محمد بن عبدالله أبو بكر بن العربي المعافري الاشبيلي المالكي (ت543هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الثالثة، 1424هـ - 2003م.
- أحكام القرآن: الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت370هـ).
- تحقيق: عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1994.
- أسباب نزول القرآن: الواحدي: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي النيسابوري، الشافعي (ت468هـ)، تحقيق: عصام بن عبد المحسن الحميدان، دار الإصلاح – الدمام، ط2- 1992م.
- استراتيجية الخطاب الحجاجي دراسة في الإرسالية الإشهارية العربية: أ.د بلقاسم دفة، مجلة المخبر، جامعة بسكرة – الجزائر، العدد العاشر، 2014م.
- الاسهامات النصية في التراث: أعداد بن الدين بخولة، إشراف. د محمد ملياني، جامعة وهران، كلية الآداب، 2016.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم: أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت982هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د.ط، د.ت.
- الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن السري بن سهل النحوي المعروف بابن السراج (ت316هـ)، تحقيق: عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، د.ط، د.ت.
- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن: الشنقيطي: محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني(ت1393هـ)، دار الفكر، بيروت، د.ط، 1995م.
- الاعجاز النفسي في الخطاب القرآني دراسة تحليلية استقرائية: إعداد قويدر قيطون، اشراف أ.د عزيز لعكايشي، 2015م.
- إعراب القرآن: النحاس: أبو جعفر النَّحَّاس أحمد بن محمد بن إسماعيل بن يونس المرادي النحوي (ت338هـ)، وضع حواشيه وعلق عليه: عبد المنعم خليل إبراهيم، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ط1- 1421هـ.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل: البيضاوي: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي (ت685هـ)، تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1- 1418هـ.
- بحر العلوم: السمرقندي: أبو الليث نصر بن محمد بن إبراهيم الفقيه الحنفي(ت373هـ)، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت، د.ط، د.ت.
- بلاغة الخطاب وعلم النص: د.صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1990م.
- البحر المحيط: الأندلسي: محمد بن يوسف أبو حيان، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د.زكريا عبد المجيد النوقي، د. أحمد النجولي الجمل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 -2001م.
- تأويلات أهل السنة (تفسير الماتريدي): الماتريدي، أبو منصور محمد بن محمد بن محمود، (ت333هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية بيروت، ط1 - 2005م.
- التبيان في إعراب القرآن: العكبري: أبو البقاء عبدالله بن الحسين بن عبدالله (ت616هـ)، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار عيسى البابي الحلبي وشركاه، د.ط، د.ت.
- التحرير والتنوير (تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد)، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، 1984هـ.

- تحليل الخطاب الروائي: سعيد يقطين، المركز الثقافي العربي –بيروت، ط3، 1997م.
- تحليل الخطاب في النقد العربي القديم دراسة مقارنة في النظرية والمنهج: مهى محمود إبراهيم العتوم، إشراف: أ.د. سمير قطامي، الجامعة الأردنية، 2014م.
- التداولية في الخطاب القرآني سورة الحجرات أنموذجاً مقاربة تداولية: إعداد عميرة حملاوي، لامية عيساوي، إشراف الأستاذ محمد زيان، 2014.
- تفسير الإمام ابن عرفة: الورغمي المالكي: أبو عبدالله محمد بن محمد ابن عرفة التونسي (ت: 803هـ)، تحقيق: د. حسن المناعي، مركز البحوث بالكلية الزيتونية، تونس، ط1، 1986م.
- تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن: الإيجي الشافعيّ: محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني (ت905هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 – 2004م.
- تفسير القرآن: السمعاني: أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزى التميمي الحنفي الشافعي (ت489هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض، السعودية، ط1، 1997.
- تفسير القرآن العزيز: الإلبيري: أبو عبدالله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، المعروف بابن أبي زَمَنِين المالكي(ت399هـ)، تحقيق: أبو عبدالله حسين بن عكاشة، محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، مصر، ط1–2002م.
- تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم: الرازي: أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي (327هـ)، تحقيق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط3– 1419هـ.
- تفسير مجاهد: المخزومي: أبو الحجاج مجاهد بن جبر التابعي المكي القرشي (ت104هـ)، تحقيق: الدكتور محمد عبد السلام أبو النيل، دار الفكر الإسلامي الحديثة، مصر، ط1 – 1989م.
- تفسير مقاتل بن سليمان: البلخي: أبو الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي (ت: 150هـ) تحقيق: عبد الله محمود شحاتة، دار إحياء التراث، بيروت، ط1– 1423هـ.
- تهذيب اللغة: الأزهري: أبو منصور محمد بن أحمد بن الهروي (ت: 370هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1– 2001م.
- جامع البيان في القراءات السبع: الداني: عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت444هـ) جامعة الشارقة، الإمارات، ط1، 2007م.
- جامع البيان في تأويل القرآن: الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي(ت310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1 – 2000م.
- الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي): القرطبي: أبو عبدالله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي(ت671هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2 – 1964م.
- جمالية الخطاب في النص القرآني: قراءة تحليلية في مظاهر الرؤية وآليات التكوين: د. لطفي فكري محمد الجودي، مؤسسة المختار– القاهرة، ط1–2014م.
- جمهرة اللغة: الأزدي: أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد(ت321هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1987م.
- الحجة في القراءات السبع: ابن خالويه: أبو عبدالله الحسين بن أحمد، (ت 370هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، دار الشروق، بيروت، ط4– 1401هـ.

- حقائق التفسير (تفسير السلمي): السلمي: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، (ت412هـ)، تحقيق: سيد عمران، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، 1421هـ-2001م.
- الخطاب الأدبي في التراث العربي بين تقنية البديع وآالية التلقي: عيسى حورية، إشراف، أ.د. عزوز أحمد، 2016.
- الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفية والبنية والنمط: د. أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، الطبعة الأولى، 1431هـ-2010م.
- الخطاب الشرعي وطرق استثماره: إدريس حمادي، المركز الثقافي العربي- بيروت، ط1، 1994م.
- الدر المصون في علوم الكتاب المكنون: السمين الحلبي: أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم(ت756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق، د.ط، د.ت.
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي: شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني (ت1270هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1415هـ.
- زاد المسير في علم التفسير: الجوزي: أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت597هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1 – 1422هـ.
- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير: الشافعي: شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني(ت977هـ)، مطبعة بولاق الأميرية- القاهرة، 1285هـ.
- شرح المفصل: يعيش بن علي بن يعيش ابن أبي السرايا محمد بن علي، أبو البقاء، موفق الدين الأسدي الموصلي، (ت643هـ)، قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.
- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية: الجوهري: أبو نصر إسماعيل بن حماد الفارابي (ت393هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط4 – 1987م.
- العين: الفراهيدي: أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم البصري (ت170هـ)، تحقيق، د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، د.ط، د.ت.
- غرائب القرآن ورغائب الفرقان: النيسابوري: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي (ت850هـ) الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 – 1416هـ.
- فتحُ البيان في مقاصد القرآن: القِنَّوجي: أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي بن لطف الله الحسيني البخاري (ت1307هـ)، قدّمه وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، المَكتبة العصريَّة، بَيروت، 1992م.
- فتح القدير: الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله(ت1250هـ) دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، ، ط1، 1414هـ.
- الفروق اللغوية: العسكري: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران (ت: 395هـ)، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة.
- الفصول في الأصول: الجصاص: أحمد بن علي أبو بكر الرازي الحنفي (ت: 370هـ) وزارة الأوقاف الكويتية، ط3 – 1994م.
- قاموس إلياس العصري: الياس انطون الياس، وادوار الياس، دار الياس العصرية، 1979م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمر(ت538هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت تحقيق: عبد الرزاق المهدي، د.ط، د.ت.

- الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: الكفوي: أيوب بن موسى أبو البقاء الحسيني الحنفي (ت: 1094هـ)، تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- اللباب في علل البناء والإعراب: العكبري: أبو البقاء محب الدين عبد الله بن الحسين بن عبدالله، تحقيق: غازي مختار طليمات، دار الفكر، دمشق، ط1، 1995م.
- اللباب في علوم الكتاب: الحنبلي: أبو حفص سراج الدين عمر بن علي بن عادل، الدمشقي النعماني (ت775هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1. –1998م.
- لسان العرب: الأنصاري: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الرويفعى الإفريقي(ت: 711هـ)، دار صادر، بيروت، ط3 – 1414 هـ.
- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب: محمد خطابي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1– 1991م.
- اللسانيات والدلالة: د. منذر عياشي، مركز الإنماء الحضاري، حلب، ط1، 1996م.
- لطائف الإشارات تفسير القشيري: القشيري: عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك (ت465هـ)، تحقيق: إبراهيم البسيوني الهيئة المصرية العامة للكتاب – مصر، ط3، د.ت.
- لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الإتصال: د. محمود عكاشة، دار النشر للجامعات، ط1–2005م.
- الماركسية وفلسفة اللغة: ميخائيل باختين، ترجمة محمد البكري ويمني العيد، دار توبقال، المغرب، ط1– 1986م.
- مجمل اللغة: القزويني: أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسن الرازي، (ت: 395هـ) دراسة وتحقيق: زهير عبد المحسن سلطان، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط2 – 1986م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز: الأندلسي: أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية المحاربي (ت542هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 – 1422هـ.
- المحكم والمحيط الأعظم: المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 – 2000م.
- المخصص: المرسي: أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده (ت: 458هـ)
- تحقيق: خليل إبراهيم جفال، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1– 1996م.
- مدارك التنزيل وحقائق التأويل(تفسير النسفي): النسفي: أبو البركات عبد الله بن أحمد بن محمود حافظ الدين(ت710هـ)، حققه وخرج أحاديثه: يوسف علي بديوي راجعه وقدم له: محيي الدين ديب مستو، دار الكلم الطيب، بيروت، ط1 – 1998م.
- مدخل إلى التحليل اللساني للخطاب الشعري: نعمان بوقرة، عالم الكتب الحديث، ط1–2008م.
- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: الحموي: أبو العباس أحمد بن محمد بن علي الفيومي(ت770هـ)، المكتبة العلمية، بيروت.
- المصطلح السردي: جيرالد برنس، ترجمة عابد خزندار، مراجعة وتقديم محمد بريدي، المجلس الأعلى للثقافة– القاهرة، ط1– 2003م.
- المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب: دومينيك مانغونو، ترجمة محمدي حياتين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1–2008م.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن (تفسير البغوي) أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت510هـ)، تحقيق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبدالله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط4– 1997م.

- معانى القرآن للأخفش: الأخفش الأوسط: أبو الحسن المجاشعي بالولاء، البلخي ثم البصري، (ت215هـ)، تحقيق: الدكتورة هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1 – 1990م.
- معاني القرآن: النحاس: أبو جعفر النحاس أحمد بن محمد (ت338هـ)، تحقيق: محمد علي الصابوني، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ط1 1409.
- معاني القرآن: الفراء: أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي (ت207هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النجاتي، محمد علي النجار، عبد الفتاح إسماعيل الشلبي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط1، د.ت.
- معاني القرآن وإعرابه: الزجاج: أبو إسحاق إبراهيم بن السري بن سهل، (ت311هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب– بيروت، ط1– 1988م.
- المعتمد في أصول الفقه: المعتزلي: محمد بن علي الطيب أبو الحسين البَصْري (ت436هـ)، تحقيق: خليل الميس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1403 هـ.
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب: د.مجدي وهبة، د.كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، اط2، 1984م.
- مفاتيح الغيب(التفسير الكبير): الرازي: أبو عبدالله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي(ت606هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط3 – 1420هـ.
- المفصل في صنعة الإعراب: الزمخشري: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (ت: 538هـ) تحقيق: د. علي بو ملحم، مكتبة الهلال، بيروت، الطبعة: الأولى، 1993.
- مفهوم الخطاب في فلسفة ميشيل فوكو: د. الزواوي بغورة، دار المجلس الأعلى للثقافة، 2000م.
- مقاييس اللغة: القزويني أحمد بن فارس بن زكرياء أبو الحسين، الرازي (ت: 395هـ)تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ – 1979م.
- المقتضب: المبرد: محمد بن يزيد بن عبد الأكبر أبو العباس الثمالى الأزدي، (ت: 285هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، عالم الكتب– القاهرة، 1415–1994م.
- من بلاغة القرآن: أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: 1384هـ)، نهضة مصر ، القاهرة، د.ط، 2005م.
- مناهل العرفان في علوم القرآن: الزرقاني: محمد عبد العظيم، تحقيق فواز أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1995م
- موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم: التهانوي: محمد بن علي ابن القاضي محمد حامد بن محمّد صابر الفاروقي الحنفي(ت: 1158هـ)، تقديم ومراجعة: د. رفيق العجم، تحقيق: د. علي دحروج، نقل النص الفارسي إلى العربية: د. عبد الله الخالدي، الترجمة الأجنبية: د. جورج زيناني، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1– 1996م.
- النكت والعيون (تفسير الماوردي): الماوردي: أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي(450هـ): تحقيق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط، د.ت.
- الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه: أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت437هـ)، تحقيق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط1 – 2008.

- الوسيط في تفسير القرآن المجيد: النيسابوري: أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي الشافعي(ت468هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، الدكتور أحمد محمد صيرة، الدكتور أحمد عبد الغني الجمل، الدكتور عبدالرحمن عويس تقديم، أ.د عبد الحي الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1 – 1994م.
- الوظيفية بين الكلية والنمطية: د.أحمد المتوكل، دار الأمان، الرباط، ط1– 1424هـ–2003م.